الضـــالة

للأستاذ عبد المغنى على حسين

كانت دار الحاج إبراهيم ، بطرف القرية الصغيرة الهادئة ، تشهد مرحا فوق العادة من صغار ساكنيها وأحاديث اهتمام من كبارهم . فهذا أحد أحد أبناء الحاج إبراهيم ، فى العاشرة من عمره ، لبس جلباباً جديداً ، وراح ينظر مبتهجاً إلى خطوطه الزاهية الألوان ، ويجد فى هشاشة جدته أعظم نشوة وطرب ، وعلى رأسه طاقية من القماش نفسه ، وفى رجله الحذاء الذى يلبسه فى الأعياد . وهـذا أخوه محمود ، يصغره بسنتين ، هو صورة مصغرة منه فى الجسم والثياب . وهذه أختهما الصغيرة سعدية ، تضحك فرحة بجلبابها الأحمر ، وعلى رأسها المنديل الجديد الفاقع الاصفرار .

وجلس الحاج إبراهيم على المصطبة بمدخل الدار ، يبرم مغزله بأصبعيه ، ويلاحق استطالة الفتلة بالصوف المنفوش ، ويخاطب امرأته فيلقى إليها بأوامره ويبادلها الرأى والجدل فى اهتمام واغتباط .

إنهم معتزمون السفر إلى مصر ، يعنى القاهرة ، لزيارة آل البيت بمناسبة مولد السيدة زينب ، وليوفوا نذراً عليهم لها طال تأجيلهم إياه عاماً بعد عام ، وليقضوا بضعة أيام عند قريبة لهم نزحت إلى القاهرة واستوطنتها منذ بعيد .

فلما دخلوا على قريبتهم ومعهم مقادير من الزاد ذى الروائح الشهية والطعوم اللذيذة من فطائر ريفية وقشدة وما إليها رحبت بهم أعظم ترحيب . ثم جلسوا يتذاكرون الماضى ، ويستعرضون أحوال الأقارب والأنسباء واحداً واحداً وواحدة واحدة ، ثم أخذ الضيوف يبدون إعجابهم بما رأوا فى المدينة الكبيرة من عجاب وجمال ، يراه الحاج إبراهيم للمرة الثانية فى حياته وتراه امرأته وأبناؤها للمرة الأولى ، تلك الأضواء المتلألئة والمآثر الباذخة والمتاجر الزاخرة وزحمة مواكب المركبات والخلائق التى لاتنى ولا تنتهى ، وكل ما فيها مسرع عجل كأنما يسابق الذى أمامه ويفر مما وراءه ، وكأن حياته على الأرض ليست سوى توان فهو يستغلها على هذا النحو طيراناً ونهباً .

وفى الصباح بكر الضيوف إلى الخروج ، ليؤدوا الزيارة ويوفوا النذر ، ويملأوا عيونهم من مناظر المدينة . ثم عادوا آخر النهار ومعهم بعض حلوى المولد من عرائس ولعب .

فلما كان آخر يوم لهم بالقاهرة ، وقد اعتزموا الرجوع إلى قريتهم فى الغد ، خرجوا لقضاء حوائج لهم وليستمتعوا بفرجة أخيرة على زحمة المدينة وقت الأصيل وبهجة أضوائها بالليل . فلما قضوا أربهم وقفوا بمحطة الترام ليستقلوه عائدين .

وكان الزحام شديداً ، والمركبات تأتى غاصة ، كأنها أكداس بشرية تتحرك . وجاءت المركبة التى يريدونها بعد طول انتظار لكن ليس فيها موضع لقدم أو مسكة ليد ، فلما أراد الحاج إبراهيم أن يركب هو وأهله صاح فيهم « الكمسارى » ليبتعدوا وينفخ فى زمارته بشدة وانطلق .

وجاءت مركبة ثانية وثالثة ولا يمكنهم الركوب ، حتى عيوا من طول الانتظار . وجاءت مركبة آخر الأمر تريثت فى وقفتها بعض الشىء فاستجمع الحاج إبراهيم نفسه وأهله ليحشروا بين الراكبين بأية طريقة ، ورفع ابنته الصغيرة بين يديه فاندست وغاصت فى داخل المركبة بين الواقفين وهم بأركاب امرأته وابنه . ونظر الكمسارى فرأى أربعتهم يريدون الركوب وليس لهم موضع ، والوقفة طالت ، ولم يكن رأى الطفلة التى أركبت ، فصاح فيهم صيحته ونفخ نفخته وانطلق ، وجرى الحاج إبراهيم وراء المركبة وهو يصيح بالكمسارى مستوقفاً لينزل ابنته أو يركبوا معها ، وصاح بعض الراكبين بالكمسارى ليفعل ذلك ولكن الكمسارى لم يفطن إلى ما حدث بالضبط إلا بعد أن كانت المركبة قد استكملت سرعتها والرجل يجرى ليلاحقها بين السيارات المندفقة بسرعة مخيفة من كل ناحية .

وزمر الكمسارى مستوقفاً السائق لكن السائق أصم أذنيه عن زمره وقال فى نفسه إن الذى فاته النزول فى المحطة السابقة

يضيره كثيراً أن ينزل فى المحطة القادمة .

وعجز الحاج إبراهيم عن ملاحقة المركبة ، وأشفق على امرأته وابنيه أن يجروا وراءه فيصيبهم شيء فتوقف وعاد إليهم ، وأمرهم بأن يبقوا فى موضعهم ولا يبرحوه أبداً حتى يلحق بالبنت ويعود بها إليهم .

وكانت المركبة قد بلغت المحطة التالية فأنزل الكمسارى الطفلة الباكية وقال لها : اجرى عودى لأبيك .

وجرت الطفلة عائدة متتبعة شريط الترام ، لكنها لم تمش إلا قليلا حتى رأت شريط الترام يتفرع إلى فرعين فى شارعين مختلفين ، فوقفت متحيرة في أي الطريقين تمشي لتجد أهلها . ثم تخيرت أحدهما ... وكان الطريق الخاطىء !

وجاء الحاج إبراهيم مسرعاً صوب محطة الترام مؤملا أن يجد ابنته واقفة عندها . فلما لم يجدها غاص قلبه إلى رجليه ، ووقف ينظر حوله طائر اللب . ثم أخذ يسائل عنها من يلقى من الناس فلم يجد أحداً يعرف من أمرها شيئاً .

ومشى واسع الخطى إلى المحطة التالية لعل ابنته تكون أنزلت عندها ، ثم وقف هناك يحوقل ضارباً كفاً بكف .

ومشى محطة ثالثة ورابعة ... حتى يئس من هذا الهيام على غير طائل . وذكر الذين تركهم واقفين فى غربة مخيفة وقلق ممض فعاد أدراجه إليهم .

والطفلة أين ذهبت ؟!.. لقد أخذت تسير وتبكى ، وتقف تنظر حولها باحثة عن أهلها ؛ ثم تسير وتبكى ... حتى يئست من لقائهم فقعدت تعول وتنتحب .

وكان الناس يمرون بها رائحين غادين ، لكن لدى كل من شئونه ما يشغله عن طفلة تبكى وما قد يكون أبكاها من تافه الأسباب . لم يكن يقف عندها إلا بعض الصبية يدافع الفضول وليضحكوا من طريقتها الريفية فى العويل والبكاء . ومر بها رجل استلفته بكاؤها فوقف برهة يسائلها عن خطبها ثم نفد صبره وشيكا لما أبطأت فى الجواب ومضى لشأنه .

ثم أقبل رجل فى مقتبل العمر يمشى الهوينى ، فليس لديه كغيره من الناس عمل معين يقصد إليه . واستلفته بكاؤها فوقف برهة ينظر إليها . وفهم بسرعة ما حدث لها فلمعت عيناه بذكاء شرير وافتر فمه عن ابتسامة كريهة وأسنان ذهبية .

وناداها « سعدية !! » . وكان قد سمعها تسمى نفسها لبعض الصبية الواقفين .

— سعدية !! .. أبوك أرسلنى إليك ... تعالى ! . إجرى !

وانتبهت الطفلة كغريق لمست يده شيئاً ، ونظرت إلى الرجل وكفت عن البكاء .

واستطاع الرجل بقليل من اللباقة والحنان المصطنع أن يستهوى الطفلة الملهوفة فأسلمته ذراعيها وانطلقا .

وركب وإياها الترام — كما قال له أبوها ! — ثم نزل وإياها فى مكان ما . ومشى إلى باب فطرقه وفتحت الباب فتاة طويلة نحيلة ، فى عينيها المرهاوين كحل كثير ، وعلى وجهها الصارخ أصباغ دامية . ونظرت الفتاة فلما رأت أنه هو أدخلته ، وهى تبادله تحيات غير طيبات ، وتتحفه متلطفة ببعض السباب . ونظرت إلى الطفلة ، وضحكت ضحكة صارخة ، فغمز لها الرجل بعينه أن تسكت . قالت الطفلة « أين نحن ؟! » قال لها الرجل « فى بيت خالة لك » ثم مشوا إلى حجرة تجلس فيها امرأة بدينة . قال الرجل للطفلة « هذه خالتك » اقعدى هنا ، وسأذهب لآتى بأبيك » ونظرت المرأة البدينة من الطفلة إلى الرجل ومنه إليها ولم تقل شيئاً . ووقفت الطفلة تنظر حولها فى دهشة وريبة ، لكن الأمل كان أغلب عليها وهى تنظر إلى الرجل الذاهب ليأتى بأبيها .

وقعدت كما قيل لها . وجاء لها بعشاء حسن فأكلت منه ، فلم تلبث أن أحست بخدر ، وراحت فى نوم عميق .

وعاد الرجل فى آخر الليل ... قالت له المرأة البدينة « ما الذى أتى بك ؟! »

— لآخذ أتعابى ... كلام جميل !.. ما الذى أتى بى !!

— أى أتعاب ؟!.. طفلة لا تصلح لشيء !

— طفلة !.. إنها شجيرة بازغة سوف تثمر جوهرا ... إنها دجاجة صغيرة ستبيض ذهباً... انظرى إلى جسمها السوى وقسماتها الحلوة ... سلام عليها حين تطول وتكتمل ، ويعلو نهداها ، ويشكو خصرها من ردفها !.. ستكون النظرة إليها عندئذ بكذا. وسيهوى إلى بيتك ألوف الرجال مسلوبى القلوب مملوئى الجيوب . هيا انقدينى مائة جنيه ، ولا أقول ألفاً مما ستأتيك به من ألوف .

— مائة !! مائة من الجن يركبونك !! مائة !!

وجرى على هذا النحو الحوار ، والسلمة المسكينة راقدة فى خدرها العميق .

من لأبيها وأمها فى ذلك الوقت بجرعة من مخدر !.. عندما عاد الرجل المسكين إلى المرأة المسكينة بغير البنت دقت صدرها ، ووقفا ينعتان الليلة السوداء . وأرشدها الناس إلى إبلاغ البوليس ففعلا ، ثم عاد إلى قريبتهما بقلبين ينفطران .

وعبثا سألوا ، وعبثا نادوا . إن ابنتهم زالت من الوجود المعروف . اقتفها الشيطان وغاص بها فى عالم الظلمات .

كان أسوأ الفروض عندهم أنها لقيت حتفها على صورة ما . وكان يهدهدهم أمل فى أنها عند بعض كرام الناس . لم تكن تخطر ببالهم ، من لطف الله بهم ، تلك الباءات المفنة بجسم المجتمع المريض .

قالت المرأة الثكلى لزوجها : حاج إبراهيم ! السيدة زينب غضبت علينا لتأخيرنا وفاء نذرها .

ونذروا للسيدة نذراً آخر ، لكن يظهر أن السيدة زينب لم تكن راغبة فى نذرهم الثانى ... لو كانت السيدة زينب تملك من أمور دنيانا شيئاً لكانت غيرت منها الشيء الكثير ، ولو كانت تغضب من الناس حقاً لما أغضبها إلا هذا الاعتقاد العجيب ، والقول بأنها من أجل ذلك السبب التافه تلجأ لمثل هذا الانتقام الفظيع .

واستيقظت الطفلة فى اليوم التالى ، وجلست تفرك عينيها وتنظر حولها مشدوهة . قالت «أين أبى ؟!» قالوا لها صح النوم ! جاء وأنت نائمة ، ولما لم تستيقظى قال أبقوها هنا لتتعلم وتتمدن ، وسأحضر من البلد لأراها من حين لحين » وكانت لا تزال تحس ثقلا برأسها ، فعادت إلى نومها العميق المريب تتخلله مياهج ولذائذ عجيبة .

وأخيراً زال عنها الخدر والنعاس ، وأفاقت إلى الوحشة الموجعة ، والريبة فى المكان والسكان كما يفيق الذى أجريت له جراحة على آلام الجرح الكبير . فعولجت فى الحال بمزيج مناسب من الأيهام والإغراء والإرهاب . قيلت لها مختلف الأكاذيب ، وجيء لها بلذيذ المأكولات وبهيج الملبوسات ، أما انتقاضاتها ومحاولاتها الأفلات فقمعت فى الحال بعقوبات رهيبة حتى استسلمت للذى ليس منه بد .

كانت تبكى أهلها سراً عندما تخلو لنفسها ثم أخذت تسلو شيئاً فشيئاً ، وتنسى قليلا قليلا ، ثم اعتادت ما يحيطها ، ثم ألفته ، ثم ألفته ، ثم لم تعد ترى الحياة إلا سهر الليل ونوم النهار وأحاديث الدنس ومشاهده وكل ما يتعلق بصناعته .

تخرجت سعدية فى معهد الشيطان ، فلما اكتملت أنوثتها واستوت لم تكن بحاجة إلى أغواء وكانت هى الغاوية .

لم تعد تبكى أهلها . بل لم تعد تذكر منهم إلا ظلالا حائلة طافت بناظريها أيام الصغر ، ومشاهد القرية والدار والحقل صارت أطياف أحلام لا تخطر لها إلا فى منام . إنها اليوم امرأة حضرية تجيد التزين والمشى فى الطرقات بخطرة ونظرة وبسمة يتهاوى لها كثير من الرجال . حياتها سهر وخمر ولهو وعبث ونقود كثيرة تأتى وتذهب ، ورجال كثيرون يجيئون ويمضون . منعة متصلة فيما يبدو ، لكن آه كم هى مملة ومضنية . أين هى من خفقة حب حقيقية ، وخلجة حنان طبيعية . إنها متعة الجسد وحده والروح فى حرمان ، وما أتعسها متعة .

ثم آه من صناعة كل عدتها رواء الشباب ، وكل يوم يمر يحدث فى المدة ثلمة ليس لها التئام . كل الصناعات يزداد صاحبها على مر الأيام قدراً إلا هذه الصناعة فلا تزيد الأيام صاحبها إلا رخصاً .

إن سعدية كانت ولدت لتكون امرأة قروية تتزوج رجلا قروياً وتلد له بنين وبنات وتمشى إلى الحقل حافية فى أثواب بسيطة سوداء وتأكل الخبز المقدد وتافه الأدام . حياة شظف وخشونة ، لكن آه ! إن فيها قلبين يتجاوبان ، ونعمى الأمومة لا تعدلها نعماء .

أى الحياتين أفضل ؟!.. لكن ما جدوى المفاضلة بينهما ؟ . وهل كان لسعدية فى أمرها أى اختيار ؟ .. إن الذى هي فيه قد أريد لها وكان .

نعم لا أحد يمنعها الآن أن تخلع زينتها ، وتغسل أصباغها ، وترمى عنها أثوابها الفاضحة ، وتخرج تائبة منيبة وتتزوج رجلا إن

وجد ، أو تقضي بقية العمر متبتلة طهوراً عاملة لكسب عيشها بعرق الجبين . لكن الذى يستطيع أن يخلق نفسه هكذا خلقاً جديداً لا يكون إلا ملاكا أو قديساً ، وسعدية لم تكن ملاكا ولا قديسة بل كانت امرأة عادية كغيرها من ملايين النساء .

هذه الخواطر كانت تطوف بنفس سعدية فى بعض الأحيان فلا تلبث أن تنفضها كلها عنها بهزة كتف وتنصرف إلى شيء آخر وهى أن تلوك بشدقيها مضغة اللاذن .

وذات يوم وهى تتخطر فى الطريق رأت رجلين قرويين أحدهما يكبرها بسنتين ويصغرها الآخر بمثلها ، ومعهما قروى عجوز مهدم وقروية عجوز لا تكاد تبصر . لم تكفها منهم كغيرهم من الناس نظرة عابرة بل علقت بهم عيناها لاستطيمان عنهم حولا . ودارت بها الدنيا وهى تهوى بذاكرتها عبر السنين إلى أعماق الماضى البعيد . وتبعتهم عن كثب وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان .

ورأتهم يدخلون ضريح السيدة زينب . لقد عادوا يتوسلون إليها كيما تعود إليهم ابنتهم المفقودة . وماذا تصنع السيدة زينب فيما أقيم فيه العباد ؟ إن الله ربها وربهم لا يغير شيئاً بهم مالم يأت التغيير من جانبهم . ما حيلة السيدة زينب فيما لا يريده الله .

وطفرت من عينى سعدية دموع حرى . دموع لم تعرفها منذ فقدت أهلها أول مرة . وهؤلاء هم أهلها على بعد خطوات منها . هل تذهب إليهم وترتمى عليهم ؟ إن ثيابها وزينتها وسحنة وجهها ونغمة صوتها كلها مطبوعة بطابع داعر . وهى إن ذهبت إليهم فسينكرونها حتما ولن يعرفوها أبداً ، وإن استطاعت أن تعرفهم بها فلن يعجوا عنهم عارها إلا قتلها . خير ألف مرة لهم ولها أن يبقوا على ظنهم من أنها لقيت حتفها صغيرة على يراعة وطهر ، أو أنها ، إن كانت تعيش ، فعلى أى حال غير هذه الحال .

وأشاحت بوجهها عنهم وولت مدبرة .

لقد كانت طفلة ضالة ، وهى اليوم امرأة ضالة .

عبد الغنى على حسين

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

إعـلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة السكرتير العام للوزارة بشارع الفلكى بمصر أو بالبريد الموصى عليه أو يوضعها باليد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم الخميس الموافق ٢٣ / ١٢ سنة ١٩٤٨ عن توريد فحم حجرى خشن مغربل لازم للمدارس الصناعية والزراعية والمعاهد العليا فى عام ١٩٤٨/٤٩ .

يمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع صفية هانم زغلول بمصر مقابل دفع مبلغ مائة مليم يضاف إليه مبلغ ٥٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ٣٠ مليم .

٨٦٠

الادارة الهندسية القروية

بالشرقية

تعلن تأجيل فتح مظاريف مناقصة إنشاء دورة مياه مسجد ناحية بنى حسين مركز منيا القمح جلسة ١٩٤٨/١٢/١١ إلى ظهر يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ مع إضافة دورة أخرى بناحية الجازر مركز منيا القمح . وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة على عرضحال تمغة فئة ثلاثين مليما نظير دفع مبلغ جنيه بخلاف مائة مليم أجرة البريد ويمكن الاطلاع على البوم

٨٤٦

الرسومات بمكتب الادارة بالزقازيق .

٨١٧

جامعة فؤاد الأول

إعـلان

تقبل عطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة سكرتير عام جامعة فؤاد الأول بحدائق الأورمان بالجيزة لغاية الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٨ عن توريد كتب لكلية دار العلوم .

ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٢٠٠ مليم يضاف إليه مبلغ ٣٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ثلاثين مليما .

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت بها في عربات النوم والإقامة في الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الاخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ لغاية ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٩ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة في الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة في الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	الدرجة	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة
		مليم جنيه
فندق وتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٤٠ ر ١٧
فندق كاتاراكت بأسوان	» »	٢٦٥ ر ١٩
فندق الأقصر بالأقصر	درجة أولى	٤٠٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	»	١٣٠ ر ١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة	٥٣٠ ر ٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٥ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	»	٤٣٥ ر ٦

ويمكن الاستعلام عن كافة البيانات والشروط الخاصة بهذا الموضوع من مكاتب مصر والاسكندرية ومور سعيد ومور توفيق وشركة السياحة المتحدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

الفكر الاجتماعي

لمؤلفه الأستاذ الكبير محمد يونس الحسيني

خواطر ولمحات تثير في النفس ألواناً من البحث والتمحيص في العوامل الاقتصادية التي تركت أثراً في حياة بني الإنسان ، وفي نشوء روح الجماعة وقيام عادات خلقية وعقائد روحية بين بني البشر ، وتريك صورة واضحة للانسان الأول ونظام الأسرة منذ أيام ما قبل التاريخ وفي فجر المدنية والعصور اليونانية والرومانية والعالم العربي قبل الإسلام وعالم القرون الوسطى والعصر الحديث ، وتبسط أمامك شتى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية بأسلوب سهل جذاب .

٢٠٦ صفحة على ورق ممتاز — ثمن النسخة ٢٥ قرشاً صاغاً عدا البريد

يطلب من أصحاب دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

صندوق بريد الفورية ٢٦ — ت : ٨٥٦ ٥ — س . ت : ١١٤٦٠

مطبعة الرسالة